تأسيس حزب المؤتمر الوطني الهندى وتطور دوره النضالي

يمكن اعتبار المرحلة الممتدة ما بين عامي ١٨٣٥- ١٨٦٠ مرحلة انتشار الوعي بين افراد الشعب الهندي، اسهم في التعجيل بها ادخال البريطانيين وسائل انتاج جديدة وتوظيف رؤوس الاموال البريطانية لخدمة مصالحهم الاستعمارية، حيث ادى ذلك الى ظهور فئات اجتماعية جديدة اخذت بمضمار الحضارة الغربية. لينعكس بدوره على عموم الشعب الهندي. وبعد ثورة ١٨٥٧ وٱنتقال الحكم الى التاج، بدأ الشعب الهندي يطالب بالإسهام في الحكم، لاسيما وإنَّ الحكومة البريطانية أعطت وعداً لإقامة نظام حكم ديمقراطي إلا إنَّها كانت مجرد وعود، ولما كان المتعلمون من الشعب الهندي يشعرون بأن المجلس التشريعي الذي شكلته بريطانيا لم يعبر بشكل واقعي عن رأيهم في تدبير الأمور، بدأ التذمر يظهر في أوساط الفئة المثقفة، ثم ٱنتشر الى أوساط واسعة من الشعب وتحول الى هياج عام بين أوساط الجماهير، حتى يمكن اعتبار مرحلة ما بين عامي ١٨٦٠- ١٨٨٠ مرحلة تطور نوعي في الحركة القومية الهندية الرئيسة، وادت الى بروز اكبر تجمع سياسي في شبه القارة الهندية، وهو (حزب المؤتمر الوطني الهندي) الذي تأسس في عام ١٨٨٥، من قبل نخبة منتقاة من رجال الفئات العليا المتعلمة في الهند وكان هدف السياسة البريطانية من وراء تأسيس هذا الحزب ليكون اداة بيد البريطانيين الذين ساهموا بتأسيسه لمساعدتهم في حكم البلاد، ودمج جميع القوميات التي تؤلف الشعب في قومية واحدة، فضلاً عن تمتين الروابط بين بريطانيا والهند، وكانت مطاليب الحزب معتدلة ومتواضعة، كما أكدت الولاء للحكومة البريطانية لحين ٱكتساب الخبرات السياسية من الإدارة البريطانية، كما حرص حزب المؤتمر الوطني الهندي على أن يكون حزباً ممثلاً لكل القوميات والديانات، وعلى توحيد السياسة العامة لكافة المنظمات المنتشرة في عموم الهند، والعمل على رسم اتجاه سياسي موحد، لكنه ادى بالنتيجة الى ظهور تيارين رئيسين فيه هما:

اولا – التيار الليبرالي: وكان يمثل الفئات الوسيطة وكبار ملاكي الاراضي، وقد عمل هذا التيار على الاكتفاء بانتقاد السياسة الاستعمارية البريطانية والمطالبة بتوسيع الحقوق الممنوحة للشعب الهندي في الادارات المحلية، وادخال اصلاحات في مجال الخدمة العامة.

ثانياً – التيار الثوري: برز هذا التيار في مطلع القرن العشرين وحتى الحرب العالمية الاولى، وكان يمثل بعض الفئات الوطنية المثقفة الشابة التي تسربت الى داخل صفوف الحزب بافكارها التقدمية، وبعض الصناعيين الوطنيين، وعملت على تحويل الحزب الى حزب اكثر فاعلية في مطاليبه المتضمنة مقاومة الاحتلال البريطاني ونيل الاستقلال والسيادة الوطنية في عموم الهند.

أما دور حزب المؤتمر الوطني الهندي في الحركة الوطنية الهندية، فقد مر بثلاثة مراحل اساسية :

١. المرحلة الاولى – وتمتد بين تأسيسه عام ١٨٨٥ الى عام ١٩٠٧، وهي المرحلة التي هيمنت عليه فيها مجموعة من المثقفين الهنود المتأثرين بالثقافة الغربية، حيث لم تكن المطالبة بالاستقلال هدف الحزب بل كانت اهدافه تكتفي بالتعاون مع البريطانيين وممارسة الضغط على الحكام لاعطاء الشعب الهندي تمثيلاً سياسياً اوسع.

٢. المرحلة الثانية – تمتد من ١٩٠٧ حتى نهاية الحرب العالمية الاولى التي اشتد فيها الصراع بين الفئات المحافظة والفئات التقدمية داخل صفوف الحزب، التي دعت الى مقاومة السيطرة البريطانية والمطالبة بالاستقلال مستندة الى تأييد الشعب الهندي.

٣. المرحلة الثالثة - تبدأ من عام ١٩٢٠ وما بعدها والتي سيطرت فيه (الغاندية) كأتجاه سياسي بزعامة المهاتما غاندي على عموم حركة الحزب الذي اخذ يمارس في عملية مقاومته ونضاله اساليب جديدة مبتكرة، ارتكزت على سياسة اللاعنف وعدم التعاون مع البريطانيين والعصيان المدني الذي اعطى نوعا جديدا من القوة للحزب والحركة الوطنية الهندية.

ثورة البنغال ١٩٠٥- ١٩٠٧

البنغال اقليم هندي واسع المساحة يضم مناطق (بيهار - اروسا و أسام)، اذ تبلغ مساحته (٥٠٠٠٠٠ كم٢)، ويشكل بعدد نفوسه البالغ انذاك (٧٨) مليون نسمة ثلث سكان الهند البريطانية. وكان أقليم البنغال اول اقليم سيطر عليه البريطانيون، وهو لذلك اول منطقة عانت من مآسي الحكم الاجنبي، فاصبحت كلكتا عاصمة الاقليم مقراً للمتعلمين الهنود ومنطلقاً للحركة الوطنية. كانت هناك صعوبة حكم هذا الاقليم الواسع، الذي يتألف من منطقتين وذلك بسبب البعد الشاسع بين منطقتي بيهار واورسا، اذ يتكلم سكان كل منطقة لغة تختلف عن لغة سكان المنطقة الاخرى. ظهرت فكرة تقسيم البنغال الى منطقتين غربية وشرقية في ٥ ايلول ١٩٠٥، لاذلال البنغاليين واضعاف قوتهم، حيث رغب كرزن نائب الملك البريطتني في الهند (١٨٩٩- ١٩٠٥) في اذلال الفئة العليا من البنغاليين واضعاف قوتهم لذلك اراد ان يطبق هذه الخطة بالقوة، الامر الذي ادى الى جرح كبرياء الشعب، الذي ادرك ان الهدف من تنفيذ هذه الخطة هو الاذلال، وقد اتخذ الاحتجاج الاول ضد تقسيم البنغال اولا طابع التماس وقع من قبل سبعون (٧٠٠٠٠) الف شخص وبمجرد جمع تواقيع هؤلاء حصل تجمع ضخم سرعان ما تحول الى تظاهرات وشرع زعماء الحركة الوطنية بإقامة تجمعات جماهيرية في بعض المدن، والقى الخطباء كلمات وطنية حماسية، وفي كلكتا التي حصلت بها إحدى التجمعات تقرر مقاطعة البضائع البريطانية، وقد تطورت الانتفاضة الى إضراب عام شمل كل مناطق البنغال كما اصابت المقاطعة البضائع البريطانية وخاصة المنسوجات والغزول بخسائر فادحة. وعملت هذه المقاطعة من شعب البنغال وحدة متراصة.

فكان اروع مافي هذه الانتفاضة الجماهيرية تعاون الهندوس والمسلمين في مناهضة الانكليز. وقد دعى الشاعر الهندي طاغور هذه المناسبة بـ (يوم التآخي)، وكتب فيها قصائد رائعة دعا فيها الهنود الى الوحدة بغض النظر عن العرق او الدين. واتحد كل البنغاليين الهنود في وحدة وطنية. مما حمل السلطات البريطانية الى مجابهتها بأعتقال قادة الانتفاضة وعدد كبير من المشاركين فيها، حتى شمل بعض تلاميذ المدارس، كما مارست التهديد تجاه العناصر

الأُخرى المشاركة فيها، وقامت بتفتيش بيوتهم، كما عمدت السلطات البريطانية الى اتباع أساليب الإقناع والرشوة مع بعض الوجهاء والمتنفذين الذين لعبوا دوراً سيئاً في إضعاف وحدة الهندوس والمسلمين، وكانت السبب الاساس في اخفاق هذه الانتفاضة التي وجدت تعاطفا في المناطق الاخرى، وايدها قسم كبير من زعماء الحركة الوطنية الهندية. أما موقف حزب المؤتمر الوطني الهندي فقد انقسم اعضاؤه بين مؤيد ومعارض لهذه الانتفاضة الذين شكلوا الاكثرية فيه، مما عمق التناقضات داخل صفوفه بين المحافظين والثوريين.

أنَّ فكرة تقسيم البنغال كانت جزءاً من السياسة الجديدة التي بدأت تنفذها الادارة البريطانية، لإضعاف الحركة الوطنية الهندية وزرع بذور الخلاف بين حزب المؤتمر الوطني الهندي و(حزب الرابطة الاسلامية)، إذ وجدت في المسلمين خير وسيلة يمكن أستخدامها لتنفيذ سياستها (فرق تسد) فقد عد المسلمون هذا التقسيم بداية لإنشاء ولايات يحكمونها بأنفسهم بعيداً عن سيطرة الاكثرية الهندوسية، في الوقت الذي عدّه الهندوس تشجيعاً للمسلمين على المطالبة بأستقلال مناطق أُخرى تحتوي على أكثرية أسلامية، ولكن بحلول عام ١٩١١ ألغت السلطات البريطانية في الهند قرار تقسيم البنغال، كما تم نقل العاصمة من كلكتا الى (نيودلهي) الأمر الذي عدّه حزب الرابطة الاسلامية رضوخاً من البريطانيين لمطالب حزب المؤتمر الوطني الهندي وإخراجه من دائرة ولائه للبريطانيين.

مدرس المادة

د. عمار خالد رمضان